وقال عبدالرحمن عبدالخالق في أصول العمل الجماعي[1] :

جماعة الخير والدعوة الشرعية))

وتطلق الجماعة ـ أيضاً ـ اصطلاحاً على جماعة الخير والبر والدعوة إلى اللَّـه والجهاد في سبيله، وهذه الجماعة لا شك في مشروعيتها سواء مع وجود الإمام العام أو في غير وجوده وقد ذكرنا أدلة المشروعية بل الوجوب مستوفاة في رسالة مستقلة بعنوان مشروعية العمل الجماعي .

ولأن كثيراً من الناس تختلط في أذهانهم الأمور فيجعلون الحكم واحداً في الفرق ، والأحزاب والجماعات والهيئات ولا يميزون بين تجمع مشروع وتجمع مبتدع وتجمع ضال منحرف ولا يميزون كذلك بين الظروف والملابسات وتغير الأحكام بتغير الزمان والمكان .

ومن أجل ذلك نبين هنا أن الجماعات على أقسام :

1 ـ **جماعة ضالة** ، اجتمعت على بدعة مكفرة ، وشذت عن إجماع الأمة أو كتاب اللَّـه أو سنة رسوله بشذوذ مكفر فهم كفار مارقون ، وإن تسموا بمسمى الإسلام . كالفرق الضالة المنحرفة الذين ابتدعوا عقائد أو مناهج مخالفة لدين الإسلام ، أو الذين خرجوا على المسلمين بالسيف كالخوارج المارقين ومن على شاكلتهم إلى يوم الدين.

2 ـ **جماعة من أهل الإسلام** ، اجتمعت على شيخ أو إمام أو عمل من الأعمال الصالحة ، ولكنهم في اجتماعهم أخذوا من الإسلام وتركوا[2] وقدموا اجتهاد إمامهم وشيخهم على اجتهاد غيره كاتباع المذاهب المعروفة أو كان منهم نوع تعصب لرايهم ومنهجهم أو بعض أمور مبتدعة لا تخرج من الدين ، أو خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً ، فلا شك أن جماعتهم مشروعة ، وفيهم من الحق ما التزموه ، ومن الباطل بحسب ما أخذوه ، ولا شك أن مثل هذه الجماعة مشروعة لأن أصلها تعاون على البر والتقوى والدين، واللَّـه يقول **{وتَعَاوَنُوا عَلى البر وَالتقوى وَلا تَعَاوَنوا عَلى الإثم وَالعُدوَان}** وهذه الجماعات على ما فيها من

1() ص (29ـ 32)

2() هذا ينافي أصل الشمولية الذي ذكره في المدرسة السلفية . أنظر ص (20) .

الابتداع فهي في حكم المجمع على مشروعيتها كالاجماع على جواز الاجتماع على إمام والتسمي باسمه ، واتخاذ مذهبه في الاجتهاد كما سميت الحنابلة والشافعية والمالكية والحنفية ، وكما كان لكثير من الصحابة والتابعين من أهل الفتيا تلاميذهم وخاصتهم، وكما كان لكثير من الشيوخ كمسافر بن عدي[3] الذي أثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعته في أول أمرهم ، وعبدالقادر الجيلاني ، ونحوهم كثير من السلف والدعاة والمصلحين والأئمة . . . ولا يضرهم هؤلاء بالطبع ما يقع من انحراف بعدهم في اتباعهم فهذه سنة اللَّـه في الدعاة والمصلحين أن تخلف بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون .

وهؤلاء هم النصارى من شر أهل الأرض اليوم ويزعمون أنهم على دين عيسى عليه السلام ، وهؤلاء اليهود اليوم هم شر الخلق والخليقة ومع ذلك يزعمون أنهم على دين موسى .

وهل المسلمون اليوم الذين يزعمون أنهم على دين محمد ز هم كذلك إلا من هدى اللَّـه منهم ؟!

والمهم أن انحراف الاتباع بعد مضي الزمان لا يدل على حرمة الاجتماع وعلى أن الضلال والفساد كان منه)).

أقول : قد رأى بعض العلماء الأفاضل أن تكون الإجابة ما يأتي :

قياس الجماعات على المذاهب الأربعة قياس مع الفارق فهو غير صحيح وذلك من عدة وجوه :

1 ـ أصحاب المذاهب الأربعة علماء أجلاء لهم مكانتهم في الأمة، وأصحاب الجماعات في الغالب جهَّال لا معرفة لهم بالعلم الشرعي .

2 ـ موضوع المذاهب الأربعة الاجتهاد في الأحكام الفرعية التي هي محل الاجتهاد، وموضوع الجماعات موضوع فكري سياسي لا علاقة له بالاجتهاد الفقهي .

3 ـ أصحاب المذاهب الأربعة يعترفون أن اجتهادهم عرضة للخطأ والصواب، ويحذرون من تقليدهم فيما أخطأوا فيه ، وأصحاب الجماعات يتعصبون لآرائهم، ويتهمون

3() هو عدي بن مسافر .

من خطَّأهُم بتهم كثيرة، بل إنهم من زيادة الثقة بأنفسهم وبمناهجهم يطلبون من أتباعهم البيعة عليها).

قال عبدالرحمن في كتابه أصول العمل الجماعي : **((وعلى الذين ما زالوا يمارون في مشروعية العمل الجماعي أن يتقوا الله فيما يقولون ، وأن يقوموا بما أوجبه الله عليهم لنصرة الحق والدين . . ويعلموا أن الله سائلهم يوم القيامة عن أمة الإسلام التي باتت يستبيح اللصوص أموالها ، وينتهك الفساق أعراضها ، ويدوس الكفار مقدساتها ، ويعيش فيها الإسلام غريباً في دياره ، حزيناً في محرابه ، ملاحقاً في السجون والمعتقلات، ويسير الكفر منتعشاً في ساحتها مزهواً في ميادينها .**

ثم بعد ذلك يفتي من يفتي ويقول من يقول : لا يجوز اليوم أن يجتمع مسلم مع ثان وثالث ليقولوا كلمة حق ، أو يتصدوا لظالم ، أو يساعدوا محتاجاً أو يردوا عدواناً عن أمة الإسلام . . سبحانك هذا بهتان عظيم[4] .

ألا إني أقول مرة ومرة : ليتق الله هؤلاء ، ولا يلقوا القول على عواهنه ، وليعلموا أن الله سائلهم عما فاهت أفواههم وألفت أقلامهم من قول قد شلَّ آلاف الآلاف من شباب الأمة عن الجهاد في سبيل الله ونصر دين الله ، وإعلاء كلمته في الأرض . . . فلينظر هؤلاء كم من شاب فتنوه، وكم من داع خذلوه ، وكم من مريد للجهاد في سبيل الله أقعدوه .

4() نعم هذا القول بهتان عظيم لكن من هو قائله ؟ فإن بينت القائل وإلا فأنت تتحمل مسؤلية هذا الكلام الخطير .

قال تعالى : {قَدْ يَعْلَمُ اللهُ المعَوِقِينَ مِنْكمْ وَالقَائلينَ لإخْوَانِهمْ هَلُمَّ إليْنَا وَلا يَأتُونَ البَأسَ إلا قَليْلاً }((5)) .

قلت : وهذا الكلام لا يوجه إلا لكبار العلماء فليس من المعقول أن يحمَّل صغارُ الطلبة مسئولية الأمة على هذه الشاكلة وليس لصغار طلاب العلم هذا التأثير الذي شلَّ الآلاف من شباب الأمة عن معاني الجهاد في سبيل الله ونصر دين الله ، وليس لهم مؤلفات تخلِّف مثل هذه الآثار المدمرة التي ينسبها عبدالرحمن إلى العلماء .

ألا فليتق الله عبدالرحمن عبدالخالق من كيل هذه التهم التي يرمي بها علماء السنة والتوحيد ويشوههم بها ، وليعلم أن الذي شل آلاف الشباب إنما هو الخرافات والبدع التي ربَّاهم عليها قادة البدع والضلال ؛ فلا تحمل علماء السنة أوزار أهل البدع الذين تدافع عنهم .

إنك لتعلم أن جماعة التبليغ التي تدافع عنها هي التي تشل آلالاف من شباب الأمة عن الجهاد وتصرفهم عن التوحيد ومنهج الله الحق؛ ومع ذلك تدافع عنها وتحمل علماء المنهج السلفي ذنبها وذنب غيرها .

5() انظر ص (72ـ73) .